المحاضرة الأولى: موطن الحضارة القديمة

1.مفهوم الحضارة: الحضارة في اللغة خلاف البداوة لأنّها تدلّ على سكنى الحضر أو اجتماع النّاس للتّعاون على أسباب المعيشة ودفع المضرّات. فهي تمثّل مرحلة من مراحل التّطوّر الاجتماعي. وتقابلها باللّغة الأجنبيّة **civilisation.**
أمّا **المدلول العام والشّامل** لكلمة **حضارة** تطلق على كلّ إنتاج مادّي أو أدبي للإنسان سواءا كان إنتاجا راقيّا أو بدائيّا. وعلى ذلك يمكن القول بأنّه لايوجد مجتمع دون حضارة.

2.حدود بلاد الشّرق الأدنى القديم: ففي رأي بعض الباحثين أنّ المقصود ببلاد الشّرق الأدنى فقط هي مصر وبلاد الشّام وبلاد العرب والعراق. وزاد البعض الآخر عليها بلاد الأناضول وإيران. وبالغ غيرهم فاعتبر حضارات الشّرق القديم شاملة لجميع البلاد السّالفة الذّكر ويزيد عليها حضارات الشّرق الأقصى وبخاصّة الصّين والهند.
لأنّ هذه الحضارات كانت وطيدة الصّلة بحضارات أخرى مثلا: حضارة العراق القديم وحضارة وادي السّند (الباكستان الغربية) حيث كانت الصّلات التّجاريّة وبخاصّة عن طريق البحر قديمة العهد بينهما. وهناك أيضا حضارة أخرى لم تكن بمعزل عن حضارات الجناح الغربي للهلال الخصيب، وهي حضارة جزر بحر إيجة الّتي كانت شديدة الصّلة بسوريا والأناضول في جميع عصور التّاريخ، وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى شمال إفريقيا الّتي تفقد صلتها بوادي النّيل (حضارة الفرعونيّة) في أيّ زمن من الأزمان

3. مواطن الحضارات القديمة:

/- وادي النيل: ظهرت الحضارة الفرعونية في مصر وشمالي السّودان منذ 4000 ق.م وهي أوّل حضارة عرفها العالم القديم.

2/- بلاد الرّافدين (العراق): أو بلاد ما بين النّهرين ظهرت بها: حضارة السّومريين والبابلين والأشورين...

3/- بلاد الشّام أو سوريا: ظهر بها العموريون والكنعانيّون والفنيقيّون والآراميّون. نبغوا في الكثير من العلوم والفنون، ونقلوا أصول الحضارة إلى بلاد العالم القديم.

4/- بلاد الأناضول: وتشمل الحضارة الحيثية.

5/- إيران

6/- شبه الجزيرة العربية: وتشمل ما كان فيها من حضارات ما قبل الإسلام. مثل: حضارة السّبأيين والمعينيين والحميريين في اليمن، الثّموديين واللّحيانيين في شمالي الجزيرة...

كما أنّ شبه الجزيرة العربيّة كانت مصدرا للهجرة البشريّة المستمرّة الّتي استقرّت في أجزاء كثيرة من الوطن العربي، ومن بينها: بلاد المغرب العربي. وكذلك كانت إلى جانب ذلك مهد للدّيانات السّماويّة الثّلاث: اليهوديّة، المسيحيّة، الإسلاميّة.

4. أسباب وعوامل قيام الحضارات القديمة:

- الموقع الجغرافي الممتاز له أثر مهمّ في سير تأريخه، سواء كان ذلك من ناحية الطّقس والمناخ والزّراعة والحياة الاقتصاديّة بوجه عامّ أم من ناحية تركيب سكّانه التّاريخي واتّصالاته بالأقطار الأخرى والأقوام المجاورة إلى غير ذلك ممّا للموقع الطّبيعي من نتائج على سهولة الاتّصال بالجهات المجاورة.
- ملائمة المناخ، ممّا يساعد على بذل النّشاط البشري والابتكار.
- المناخ الملائم والمتنوّع والمعتدل: للامتداد الجغرافي الواسع لمواطن الحضارات العربية القديمة دور في اعتدال وملاءمة وتنوّع المناخ، وهي أمور تشجّع على الاستقرار والتّحضّر وقيام الحضارة.
- المياه الوفيرة من الأنهار والأمطار والينابيع: تعتبر المياه ومدى توفّرها عاملا رئيسيّا في قيام الحضارات القديمة، فقد ساعد وجود الأنهار على حياة الاستقرار من خلال تركّز مناطق الزّراعة والعمران حول موارد المياه.
-استقرار السّكان في المجتمع الزّراعي وتعاونهم

5. مصادر دراسة تاريخ الشّرق الأدنى القديم:

تعتمد الدّراسة في تاريخ الشّرق القديم على مصادر أربعة أساسيّة هي: الآثار وما كتبه الرّحالة والمؤرّخين من الإغريق الّذين زاروا المنطقة وكتبوا عنها كتبا كاملة أو فصولا من كتب، ثمّ الصادر المعاصرة في منطقة الشّرق الأدنى القديم، وأخيرا ما جاء في الكتب المقدّسة.

أوّلا: المصادر الماديّة (الأثريّة): وهي ما تمّ الكشف عنه من آثار. وتشمل مختلف المباني والأطلال والمنشآت من منازل وقصور ومسارح ومعابد ومقابر وأروقة وأسوار وحمامات...، وكلّ ما يعثر عليه في هذه المباني من تماثيل وصور وأواني وأدوات. ولذلك يدخل في مجال هذه الدّراسة فنون العمارة والنّحت والتّصوير والفخّار. وقد كان علم الآثار هو الدّراسة الّتي تفرّعت عنها دراسات عديدة متخصّصة مثل: دراسة النّقوش ودراسة المسكوكات.

فدراسة النّقوش تشمل كلّ الرّسومات والكتابات المدوّنة على مواد صلبة كالحجر أو الرّخام أو المعادن خاصّة البرونز أو الخشب أو الصّلصال. ومن أبرزها: **حجر بالرمو** والّذي عثر عليه في منف. ويضمّ حوليّات الملوك منذ أقدم العصور وحتّى نفراير كارع ثالث ملوك الأسرة الخامسة، **قائمة الملوك السومريّة** وترجع زمنيّا إلى بداية الألف الثّاني ق.م، وتتضمّن هذه الوثيقة أسماء ملوك بلاد الرّافدين حسب الأسر الّتي ينتمون إليها ومدّة حكمهم....

ثانيّا: المصادر الكتابيّة (الكتابات الكلاسكيّة): ترك لنا بعض المؤرّخين والجغرافيين اليونان، إشارات عن جغرافيّة بلاد الشّرق الأدنى القديم وأحواله الطّبيعيّة والمعاشيّة، وعلى الرّغم من ذلك يجب على الباحث أن يكون حذرا في تتبّع ما يذكره هؤلاء الجغرافيّون وأن لا يأخذ ما صدر منهم مأخذ الحقيقة دون معرفته بشخصيّة الكاتب وظروفه.

وتكمن أهميّة هذه المصادر خاصّة في معلومات الفترة الّتي عاصرها هؤلاء المؤرخون إذ قاموا بوصف أحداث شاهدوها بأنفسهم، كما تضمّنت كتاباتهم كثيرا من النّصوص لمؤرّخين محلّين فقدت أصولها ولم نعرف عنها إلّا ما ورد في هذه الكتابات، غير أنّه يؤخذ عليها العديد من المآخذ ومنها: روح التّعصّب الّتي عرفت عند الغربيين وحضارتهم وإظهارها وكأنّها أرقى من غيرها. ومن أبرزهم ما يلي:

1/- هيكاتوس المليتي:HECATAEUS : مؤرّخ وجغرافي يوناني من بلدة "مليتوس" زار مصر في القرن 6ق.م (حوالي سنة 520ق.م). جمع مشاهداته وقصصه في كتاب سمّاه: "رحلة حول البحر"، كما زار معظم الأقطار الّتي كانت خاضعة للفرس. فزار آسيا الصّغرى وسوريا والعراق وفارس... وكان في رحلاته حريصا على جمع الحقائق الجغرافيّة بهذه البلاد وله كتاب أيضا: "خريطة العالم" ضمّ فيه بعض المعلومات التّاريخيّة

2/- **هيرودت:HERODOTUS (484-425ق.م)** مؤرّخ ورحالة يوناني لقّب بأبي التّاريخ ولد ببلدة "هاليكارناسوس"، ترك مشاهداته حول الكثير من مناطق ومدن الشرق الأدنى القديم، أنهى رحلاته حوالي سنة 450ق.م وعلى الرّغم من كثرة الأخطاء الّتي وقع فيها هيرودت إلّا أنّ مجمل عمله ذو قيمة علميّة

3/- زينفون: XENOPHONE (429-354ق.م) من المؤرخين اليونان القلائل الّذين حُفظت لنا أعمالُهم، ومن أفضلها كتاب "الصّعود Anabasis" الّذي يُعتبر سيرة ذاتية يُصوّر فيها مغامرات عشرة آلاف جندي مرتزقة يونان تحت قيادته حوالي 401ق.م وهم يحاربون في صفوف "قورش الصغير"

4/- سترابون: strabo (66ق.م-24م) ورث عن أسرته ثراءا كبيرا ممّا مكّنه من القيام برحلاته الكثيرة. وتتميّز كتاباته بأنّها نوع من الجغرافيا التّاريخيّة. وينقسم مؤلّفه إلى 17 جزءا وتتميّز كتاباته بالموضوعيّة والبعد عن العاطفة

5/- ديودور الصقلي: diodorus siculus(80-30ق.م) مؤرّخ يوناني صنّف كتابا في تاريخ العالم بعنوان: "المكتبة التّاريخيّة" bibliothk في 40 كتابا. لم يصل عنها سوى الأجزاء من 1 إلى 5 ومن الجزء 11إلى 20. تناول فيه تاريخ العالم من العصور الأسطوريّة حتّى عام 60ق.م

6/- بلينوس الأكبر: plinius(23-79م) كاتب ورحالة روماني. تناول في كتاباته العلوم العسكريّة والتّاريخ والتّعليم. غير أنّه لم يبق من مؤلّفاته البالغ عددها 102

سوى موسوعة "التّاريخ الطبيعي"historia naturalis الّتي تقع في 37 كتابا. وتبحث في مختلف الجوانب كالفلك والتّشريح والحيوان والنّبات والجغرافيا والطّب....

ثالثا: المصادر الأجنبيّة المعاصرة: وهي من المصادر الهامّة لدراسة تاريخ الشّرق الأدنى القديم، حيث كان للدّول الّتي ظهرت علاقات ببلدان هذه المناطق في فترات من تاريخها. فقد تبادل حكّامها رسائل كثيرة اختلفت في فترات السّلام عن عصر الحروب

هذه المصادر ذات أهميّة بالغة قصد التّعرّف على طبيعة العلاقات الّتي كانت قائمة بين حضارات الشّرق الأدنى القديم والأمم المجاورة. وبعد المقارنة للنّصوص يمكن الحصول على الكثير من الحقائق التّاريخيّة.

رابعا: المصادر الدينيّة (الكتب المقدّسة): جاء في المصادر الدّينيّة المقدّسة الكثير من القصص الدّيني الّذي يتّصل بطريقة أو بأخرى بتاريخ الشّرق الأدنى القديم وحضارتها، وبخاصّة في التّوراة والقرآن الكريم . فمثلا: تحدّثت التّوراة في الكثير من أسفارها عن المصريين وعلاقتهم ببني إسرائيل فضلا عن الحديث عن أنبياء بني إسرائيل. وتتّصف هذه الأخبار بالإيجاز أحيانا والبُعد عن التّحليل. لذا لا يمكن الاعتماد عليها كمصدر تاريخي دون إخضاعها للنّقد التّاريخي والعلمي ومقارنة الأخبار الواردة فيها. أمّا القرآن الكريم فإنّه يقدّم لنا عن طريق القصص القرآني معلومات هامّة وصحيحة، لأنّه منزّه عن التّحريف ويتحدّث عن عصور ما قبل الإسلام وأخبار دولها ومعتقداتهم الفكريّة. مثل: قصة سيّدنا يوسف وموسى عليهما الصّلاة والسّلام تضمّ الكثير من المعلومات عن الحياة السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة في مصر الفرعونيّة